نشید آدم

أغنية اليوم السادس

[1]

إيه
أيتها الروح الصدئة الرنانةُ
مثل صنج
أيتها الروح الخربة مثل مقبرةٍ
كم تضجين بالكلاب الضالة
وقطط الهواء المتوحشة
آه يا روحي التي تنزلق إلى الضلال
والإثم
أيتها الروح التي لا تعمل
بلا أنشوطاتٍ
قويةً
أو سكاكين خالصةً
ماذا عن اليقين ذي الضلال
وما عن الروح
التي تتهدد؟!

[2]

سوف أخرج من شواطئ النسيان هذه
وأبعث الوحدة من مرمرها
وسأعمل بيدين ضالتين
وقلب بلا
فاكهةٍ
وسأنصِّب نفسي ملكـًا للفوضى العارمة
واليقين المنعدم.

[3]

بلا
يقين واحد

أمد رجليَّ في الفراغ الغويط وأتردد ما بين الأمل واليأس بضراوةٍ ولا
أبحث عن مساومة
أعقد صفقات متوالية مع الأنقاض والهزائم
وأوسوس لنفسي
بنفسي
وأبحث عن السماء في الأرض
وأبحث عن الأرض في السماء
وأملأ رئتي من هواء العدم المحض
وأحدق مليـًا في قيعان اليأس
أنا الكائن
المتناقض والمنسجم في آن معـًا
أنا الذي أبدد كل شيء وأجمع كل شيء إليّ
هذه هي إذن هياكلي التي أعرفها
ولا أعرفها
سوف ألملمها واحدة
فواحدةً
وأعبث بها على الأرائك
وفوق أسرة النوم المتوحشة
[4]
أنا زعيم اليأس الكامل والخراب المنعزل
أنا اليقظة الدائخة في النوم والنوم الدائب في اليقظة آهٍ
من تلك الفوضى الآتية من كل فجّ
ومن النسيان الذي يسيطر على كل اتجاهٍ
آه
من الزمن الذي فقد الزمن ومن الدقائق التي ضلت الحكمة
آه من الساعات التي تعترف باليأس ولا تبرر الأمل
من السنوات التي بلا رنينٍ خالصٍ
أو حتى دهشةٍ واحدةٍ
لم يعد للوجود معنى

لم تعد للروح مشاركةٌ
إلى متى أكون بينكم وأصمت؟
إلى متى أكون فيكم ولا أتكلم؟
سفن أخرى سوف تأتي
وموانئ آفلةٌ تتهيأ لاستقبالي الحار.
[5]
بحارٌ هائلةٌ تودُّ لو ألقي إليها بتحياتي المعلبة
وأتوقف على قيعانها الإسفنجية
لأتأمل السماء
وهي تنقبض وتنبسط كخيمة هائلة للرب
مجرات كاملة تجلس معي على الأرصفة
وتتناول كسرات خبزي الجافة
وتحتسي معي الشاي المر
كم هي واطئة كل هذه السماوات
وكم هي بعيدة أيضًا كل هذه الأرض؟
أيتها الزرقة الغاوية
خذيني إليك
ضميني واحضنيني
أنا الخائف البردان في
الجحيم المنجرد
ارحميني أيتها السماء من أساطيري التي لا تجرحني
وخرافاتي التي لا تتوقف
وخيالاتي التي لا تريد أن تنام.
[6]
من قال
إن الله هو الكلمة فحسب
هو الكينونة فقط
ما معنى الكلمة؟!
ما معنى الوجود والموت؟

ماذا عن الزمن بأظافره التي يبخّ منها الدم؟
آه
يا غباري الذي يتمدَّد..!!
[7]
كل البحار تنبع من روحي
كافة المحيطات تغتسل تحت قدمي وتنام تحت أشرعتي
فوق مخداتي يتقاتل الليل والنهار
ويشتبك النور مع الظلمة
فوق بدني
- المحشو بالخيانات والحصى -
تتوافد كافة القارات
لتعقد صلحاً مع الطبيعة الغاوية
وتعيد توزيع جغرافياتها
من أنا؟
ماذا أفعل في هذه الوحدة التعسة؟!
ماذا أفعل بكل هذا الوجود الممض؟
كل شيء غامض في هذا الكون..!!
المتاهة تلو المتاهة
لا أمل في الخلاص أبداً.
[8]
أيها الأقيانوس العظيم خذني إليك
خذني إلى فضائك الشاسع شسوع روحي الخربة
ونفسي المضللة المضمحلة
تلفت روحي
وأنهار بدني
جفَّ حلقي
وأصبحت مثل كومةٍ من الوساخات
حصبائي بالغة الغور وشمسي بلا يقين أبداً
أنا القداس الأخير لمملكة العدم

أنا الندم الذي لا يعرف الرحمة أبداً والرحمة التي لا تعرف طريقها
إلى الأرض دائمـًا
أنا المهرج العظيم في مملكة السيرك الكونيِّ
والحصاة الناتئة
فوق سفح كل جبلٍ
أنا لاعب السيرك الأعزل والمطارد العظيم
فوق جبل النار الذي يمتد من الأزل إلى الأبد
أنا الغيمة المتلاشية في بنطال التفاضلات والتكاملات.

[9]

دعني أتلاشى أيها الغمر المتلفع بغياهب الظلمة
وسواسن الندم
انعدم أيها النور الخائن – أنا منعدم بك ومنعدم ورائك ومنعدم أمامك –
أريد أن أبلل شفتي المشققتين بتراب الحقيقة وهواء الكينونة الملون بدماء
الضحايا...
أريد أن أقترب أكثر وأكثر من فقاعات الجنس
وتكوينات الجسد الكامل.

[10]

آه
يا ديمومة الروح الخالدة
أقدامي تعبر الأزل والأبد في لحظةٍ واحدةٍ
سأفكِّك اللغة كالخرادل
وأدلق الحروف
على الطرقات
– كالكائنات الضالة –
وسأترك المعاني في العراء
إلى أن تجف
أو تموت
بلا معنى لأي شيء
ولكل شيء.

[11]

معلقٌ أنا مثل فضيحة مدوية
ومصلوب مثل خطيئة بألف رأس
قدماي زائغتان
ولا تستقران على شيء
عن أي شيء أبحث أنا المهمل في هذا الكون الخرب؟!
لا شيء
لا شيء يحدث تحت قبةِ هذه السماء الواطئة
لا جديد تحت هذه الشمس الحارقة
حتى المعرفة الخالصة
حتى اليقين الكامل
حتى السلام الذي يعم
لا وجود لأي شيء
ولكل شيء
أنا وحيد في هذا الكون
ولا عزاءَ لي.

[12]

أشرب من كافة الينابيع ولا أرتوي
أجلس تحت كافة الأشجار ولا أشعر بالظلِّ
أنزل إلى كافة البحار
ولا أتبلل
أسير على رمل الشاطئ
ولا أرى البحر
أسير في قلب الظلمة المعادية ولا أقبض ولو على نجمة واحدة
– كلي
واشربي
أيتها الديدان التي ترعى في بدني
وتنحلُّ في ذاكرتي
ولتنزلي

على سواحلي
بسلام – .
[13]
لتستوي
أيتها الديدان المتوحشة – الجمة – فوق روحي الهشة
روحي التي تتلامع مثل سمكة مجوفة في سماء خرافية
بألف عين
– أيتها الديدان التي ترعى الخراب على سواحل اليأس الجهنمية هذه –
ولتقهقهي هناك إلى الأبد
فلا مردَّ لك
أنا هالكٌ
لا محالة.
[14]
من ينقذ سلام نفسي المملوءة بالحفر والشك؟
من يطبطب على كفل روحي المشققة مثل صحراوات تقهقه؟ آه
من هذا البرق والرعد اللذين يمسكان بتلابيبي ولا يتركاني سوى جثة
– حامضةٍ –
بين الأنقاض
وضراوة اليأس الممضِّ؟!
[15]
أنا نغمة الطبيعة النشاز وعضوها الهيولي الأجوف
سنواتنا بلا رحمةٍ واحدة
وحياتنا بلا يقينٍ خالص
كلماتنا البدد
نفسه
إيه يا خلاص روحي و يا نفسي المنسحقة مثل كوابيس ضاريةٍ
تكللي بالسواد
أيتها الأرض
أيتها الأرض المنتفخة بالجثث

والعداوات
أفقد الرغبة في الخلاص
كما أفقد الرغبة في اليقين حقـًا.
[16]
أتدثر تحت أغطيتي البردانة وأضمحل
أسمع صفير نفسي التي تتفحمُ
من ألقى بي إلى هذه المتاهة الغفل؟
من ذا الذي دفعني إلى هذه الناحية من الجسر؟
من ذا الذين يقودني – أخيراً – إلى المنزل
إلى بيت
أبي
– حيث الجرار والخمر –
أنا المكلل بالخسارات
والخيبة
أنا المملوء بالشك
حتى النخاع
سأرحل بلا بداية
واسأل بلا
أمل
ولا يقين لي فأعول عليه.
[17]
وحدي أعرف خلاص نفسي
سأنفجر مثل بالونةٍ معبأة بالخيبة وآلاف الأسلاك الكهربائية
المتماسة
سأعبِّئ نفسي باللاشيء
وسأنام مثل قارورة
مندلقة
تحت سفح جبل
ربما

سأدهن هواءكم الملوث بالسواد
ومثلما تدهنون روحي
المشبعةَ بالألم.
[18]
أي فاكهة سوف آكل أنا الجائعُ الأبدي إلى المن والسلوى
سوف أغلق – عليّ – باب حجرتي
وأدحرج البحر بخياشيمي
وألعب بالأرض
كالنرد
إلى أن أعبر البرازخ
أنا المصاب بالانهيارات والتصدعات
دائمًا
أنا المسافر الأبديُّ إلى العدم ولا رفيق لي
أنا الحامل فوق كتفي كل هذه التعاسات الإنسانية ولا أنيس لي
أنا المرتكب كل خطيئة
عن قصدٍ
وغير قصدٍ
أنا المتأبط الدائم لطيور اللامبالاة الهرمة
الراسي فوق جبل الإثم المدوخ
أنا الضاحك الأزلي من الألم حتى الزلزلةِ ومن الموت حتى الرعبِ
المتوقف أمام كل شارع لأحصي عدد خيباتهِ وأوهامه
أنا العاطل عن كل حكمة
والخالي من كل إرادةٍ.
[19]
أنا العائدُ من الجحيم دائمًا
أنا الخارج من كافة المعارك بلا سلاحٍ واحدٍ وأحمل على ظهري
كافة الهزائم
لا تحية لي من أحدٍ
ولا يقين – حقيقي – لي عند أي حد

ليس لي من شارة واحدة من مجد أكيد لأضعها فوق صدري
سوى مخيلة بائدة
لملك مخلوع
وبنياشين عصر كامل من الأكاذيب والخدع السينمائية
على جسدي تنطبع صور لكافة الخسارات والندم
لن أسمع لهوائكم الملوث بالأحقاد والضغينة أن يتسرب إلى
أنا المطرود من طرقكم الهرمةِ ومدنكم الشائخة والتي لا تحمل سوى رائحة العفن الخالص
وخرائبكم الملقاة على الشوارع كالمطبات والحفر – إلى أطراف الصحراوات –
كأنني جريمة مدويةٌ
إلى حيث جنتي الشائكة التي سوف أصنعها بيديَّ ولا تتسع إلا لي
أنا المطارد الأبدي
كأنني كومة من الأوحال
والوساخات
مرارة واحدة من مراراتي – اللانهائية –
تكفى لستةٍ من العوالم
مثل هذه.
[20]
سأقتفى أثر الظلمة على الأرض
– ربما أقاسمها النهار
مثلما تقاسمني الوحدة
والضغينة –
وبملابسي المتسخة هذه
سوف أرقد عارياً إلى الأبد تحت سماواتكم المدججة بالنجوم والتخيلات
وسوف أدحرج كرة الأرض
فوق قدميَّ
كلاعب يلهو بالطبيعة
مثلما يود.

[21]

أنا ابن الصدفة المدوخة واليقين الأعمى
أنا ابن الشهوة الراجفة والحنين المضلل
سنواتي
طافحةٌ بالشهوة وغاصةٌ بالأفاعي
أجزُّ على أسناني مثل حشرة قارضةٍ
وفي مهب الريح أتوقف
لأقضم فراغي المتسخ كثمرةٍ حامضةٍ
وهأنذا
أترك لروحي المتسخة أن تتفتت تحت أقدام المارة
وعابري السبيل..!!

[22]

بلا هدفٍ
أواصل السير في الظلمة
وأنكش العتمة
بأظافري
وأخز الضمير بأنيابي
ألملم شباكي الطافحة بالشهوة وأضيف إليها خرائبي
وأحملها فوق ظهري مكسوراً
وبلا متاع
سوى صلصلة الأمعاء
سوف أقطع البحر
بمفردي.

[23]

أبتني موائدي المتآكلة على الحواف المتهدمة لهذا الغمر
من يكلّل رأسي بالرماد
والشوك؟
من يزرع عاصفة روحي على الطرقات كالشك؟
من يمسك جنون نفسي التي تنفجر في كل لحظةٍ إلى آلاف الشظايا؟

أنا الخالي من كل حكمةٍ
والعاطلُ عن كل إرادة
دوري أيتها السفن المفككة على أمواه البحار السبعة
والمحيطات اللانهائية
واعبري حاجز الزمن مثل سمكةٍ
منافيةٍ.
[24]
كيف أكتب عن هذا الذي يزأر بداخلي ويعتملُ مثل أسد منجرحٍ؟
كيف أعبر تلك الصحراوات التي تتراءى أمامي وبلا نهاية؟
لم أتحدث سوى عن الزمن الذي ينطفئ مثل فقاعةٍ طائشةٍ لتصحنها أقدام
كل عابري السبيل أنا العابر الأبديُّ في الفراغ الغويط ولا مصير لي
إلى أين أتجه أنا المتخبط الوحيد في هذا الكون الشائه ولا بوصلة لديَّ ولا
رياح لسفني – الخاوية – فتحملني إلى جبلٍ عالٍ ليعصمني من الماء صُرتي
خاوية وفي جعبتي ترقد ملايين الأسئلة وعلى مقربة من روحي القلقة تعوى الكلابُ
الضالة وقطط الهواء المتربصة وبقسوةٍ هائلةٍ أتأبط حصير أيامي الجافة
وأرقد منزوع السلاح وبلا أملٍ خالص على بوابات نفسي العميانة يتكوم
العدم إلى ما لا نهايةٍ ومثل جيش من الأفاعي أهش على سلاحف الموت
المسننة هذه باحتقارٍ وتؤدةٍ كيف أمسك هذا الهواء الذي يعشش في
مخيلتي كالوطاويط؟
[25]
أنا صورة الأشياء كلها
أنا الوردة وتلك الروح
أنا الوجود المحض
والعدم
المحض
أنا صورة الحقيقة
وضراوة الشك المالح
أنا الصحراء المتوحشة
والندى الجارح

أنا فتنة النوم المدهشة وكوابيس اليقظة الجمة
وأنا...
أنا سيد التناقضات
بلا منازعٍ
أنا الكائن المتناقضُ والمنسجم
في آنٍ معـًا.
[26]
بداخلي يصرخ بوذا
في أحشائي تولد حضاراتٌ مندثرةٌ وتستيقظ الروح كالدببةِ
في كلماتي
ينشد زارا
أجهل ولا علم لي بالحقيقة
أين ينتهي الصدق
وأين يبدأ الكذب؟
ما هي خدع المنطق
وما هي نهاية الميتافيزيقا؟
[27]
يا أصدقائي – المنسيين – الذين ماتوا في سنوات الصمت والصبر
سلامـًا لكم من البحر
وسلامـًا لكم من الريح والأرض سلامـًا – لكم – من العالم ذي العينين المطفأتين
والنجوم الوهاجة وسلامـًا لكم من كل شيء
وأي شيء.
[28]
سأشير إلى هذه الناحية من السماء
وسأتخلى كثيراً عن آنيتي المكسورة
وسألعب بالنوم واليقظة مثلما أودُّ
وألملم كوابيسي المتناثرة
في بقجة خفيةٍ
من الضلال

والإثم
وأتبع هوائيات الضوء العابرة للقارات.
[29]
ليس هناك من لحظة واحدة لتسكن هذه الروح
لا يوجد هنالك من زمن واحد خال من الألم والإثم
أينما سرت
وفى كل طريق
أبصر ما لا أرى
وأسمع ما لا أعرف
توكأت على أشجاري الجافَّة حتى احترقتُ
نزلت صوب براري الشاسعة وما قبضت ولو على يقينٍ واحدٍ
أغرقت ورياني بالماء
– حتى اندحرت –
وما ارتويت
يا لهذا الألم الصخَّاب مثل سوسنة
يا لهذه الروح المذبوحة
مثل جبلٍ
مندكٍ.
[30]
كيف أتخلص من حجارة روحي التي تتكبكبُ؟
كيف أصرخ على جبل نفسي المدنس؟
منذ سنوات وأنا أطارد خيالاتي الضارية هذه مثل حشرةٍ قارضةٍ
على موائدكم
الملآنة بخضار الروح أصرخ
لا شيء يبعث من جديد
ولا شيء يموت إلى ما لا نهاية
كل ما كان
وما هو كائن
سوف يكون على ما كان.

[31]

أكره الميتافيزيقا
أكره حضارة المثلثات
والمربعات
واقتصاد السوق
أكره البنوك والسوبرماركت
وميكانزمات العولمة
والكوكبية
أكره كل ما يمت إلى الميكانيكا بصلةٍ
هل صارت الميكانيكا
بديلاً عن الله؟!

[32]

أرفض حضارتكم الملوثة ببقع الدم وطراوة الأنقاض
أرفض نواياكم الحسنة والسيئة على السواء
أكره هواءكم المدبوغ على الطرقات
بالأكاذيب والخزعبلات
مثل جيف لفئران ميتة
أكره مصحاتكم المعبأة بالبلاجرا
وفقر الدم
أكره صحافتكم الخربة
المملوءة بالروث
والبلهارسيا
أكره أغنياتكم الفجة وموسيقاكم التي تشبه المرض العضال
أسخر من موتكم المجانيِّ
وحياتكم الاعتباطية
أكره الصادر والوارد وحساباتكم الحشرية التي تطاردني عند كل شهقة
وتنام كالمخدرات تحت رئتيَّ
آه
من زيفكم أيها الكلابُ؟!!

[33]

ما جدوى كل شيء

وأي شيء

كل ما هو كائن سوف يكون على ما كان

سوف أفعص الزمنَ تحت قدميَّ كحشرةٍ

وأركن رأسي إلى الأنقاض دائمًا

كيف أتخلص من حجارة روحي التي تتكبكب – داخل نفسي –

كيف أصرخ على جبل نفسي المدنس

أنا المملوء بالبراءات

والإثم

لا زمن لي

ولا وقت لديَّ

الوجود نفسه فارغٌ

والحياة عبث

والموت عبث

والعالم لا شيء!!

[34]

لا جديد تحت هذه السماء الواطئةِ

ومثل كل يوم

الشجرة لها نفس الملمس

والقمر له نفس الهيأة

نفس المجرة

ونفس الأرض

سيعملان – معًا – وبموتورات الجاذبية وسيدوران إلى أن تنطفئ الشمس

ويظلم الليل

أسير في الطرقات ولا أسمع سوى عواء الكائنات الضالة مثل

سردينات هائلة

في علب من الصفيح المشرشر

أنظر إلى الشوارع التي تضيق أو تنفرج كالأرحام

أنا بهلوان الموت المفاجئ
وضحكة الموت البريء.
[35]
مثل سمكةٍ
أتبلبط على الأرض
وعلى القاع
أتأمل كم هو عميق وهزلي كل هذا الموت
لا أحد يعي
ولا أحد يحسُّ
مثل فراشةٍ
ذائبة
أضيء أو أنطفئ
ألملم الظلمة المعادية في سراويلي الجافة
وفي...
أحذيتي البلاستيكية أكوِّم الهاوية مثل الرملِ
والحصى
وألقي بها
إلى النفايات.
[36]
هل العقل فعلا أساس كل شيء
وماذا
عن المادة الحيَّة
والمادة الميتة على السواء؟!
كيف أتفرس جيداً في أسنان الموت – المتوحشة – ولا أهتمُّ ؟
كيف أحدق مليـًا
بعينين
غائرتين
إلى القاع
ولا أبالي؟

إلى العدم
إلى العدم
أيتها الظلمة المعادية
إلى العدم أيها النور الخائن
أنا شكل نفسي
ثم لا شيء.
[37]
هدأت العاصفةُ
وها هي سفن القاع تعلو
الليل أثر الليل
والنهار أثر النهار
بلا بدايةٍ نأتي
وبلا نهاية نمضي
هذه هي دورة الأشياء كلها
هذا هو العالم ولا شيء بعد
من يوقف تلك العجلة الجهنمية؟ من يعمل على إيقاف تلك
الطاحونة الحمراء؟
من يصمد أمام تلك الدائرة اللعينة؟
من هو الذي يعرف ليقول؟
من هو الذي رأى ليحدث؟
من يضع خاتمة لكل شيء
وأي شيء؟
الموتُ / الحياةُ / النومُ / اليقظةُ / الليلُ / النهارُ /
البياضُ / الظلمةُ /
الخيرُ / الشرُ...
الألمُ / الفرحُ ...إلخ ...إلخ
أين تذهب هذا المساء؟
[38]
كيف أصعد إلى السماء لأنظر ماذا تحتوي؟

كيف أحصى عدد ذرات الأرض ولا يصيبني القرف؟
يا هوائيات السديم الأعظم
ماذا هنالك بعد الروح
والموت؟
كم دورةٍ سوف نأتي؟
انسحقت مثل غيمة وما عرفت
أيها الموتُ
اترك
لي
سراويلي!
[39]
أمسك هذا الفراغ الهائل بأسناني
وأنتشل غرقاي من اللجة
وأبحث عن جزيرةٍ
– نائية –
لأقيم فوقها شرائعي
أنا سيد الجسد
ولا معنى لحقيقة الروح هذه
لم يعد هذا الهواء ملائمًا لي
العالم
ملوثٌ بالخيانات
والحصى
أنا تمثال الضغينة المنكسرُ.
[40]
كيف أقبض بيديَّ – الكليلتين – على هذا العالم مثل رغوةٍ
وبحركة واحدة أفركه بين أصابعي وأذريه كالنفايات ثم أجلس على حصيرةِ
الفراغ لأغنى أغنيتي الأخيرة تحت سماوات العدم هذه فلا سماء لي لآوي
إليها ولا أرض هناك لتحتويني ولا جبل – لي – ليعصمني من الماء ولا ظل
هناك في الفلوات لأرتكن عليه.

[41]

في قلب الظلمة المعادية وقفت وصرخت

يا أبي

أين كلماتك التي تطبطب بها عليّ

أين مأواك لأتسلل إليك في ظلمة النهار ومتاهات الليل

أين كلماتك التي أخذت تلاحقني ومنذ أن ولدت

– هأنذا أحفظها عن ظهر قلب –

لم فعلت بي ما فعلت؟!

لم يعد لي مجد

أنا العابرُ المنهزمُ المأزومُ العارفُ الجاهلُ المتخبِّط الضلِّيل الضريرُ الأعمى

الفقيرُ المنجحدُ الناقصُ الضئيلُ الشائهُ المشوهُ

عائرُ الحظِّ.

[42]

قوّني ببركتك يا رب

فقد ضعفت وانحللتُ

أدخل يدك الرحيمة في جيبي فقد وَهَنَ العظم مني واشتعل الرأس شيباً

انزع ظلام روحي عن نفسي

– التي بين جنبيَّ –

أنا الأعزلُ من كل قوس وسيف

غسلني في نهرك اللانهائي

فأنا متسخ حتى النهاية ومبلولٌ بالوجع حتى الهلاك

بللْ شفتي بريقك العذبِ

حتى لا يهلكني الجحيم

والندم

ضمني إلى جناحك

فأنا في العراء

والبرد.

[43]

هبنني سلامك الأكيد يا رب

أنا الأعزل من كل معرفة وحكمةٍ
لا لغة لديَّ لأتعرف بها
عليك
ولا سلاح لي – لأتقاتل مع الشرِ –
سوى هذا الألم الخالص
ولا يقين عندي سوى حَجَرَةِ الشك هذه
أنا مرعوب من كل شيء
من الملل الخالص
والمصير المضمحل
مرعوب من المعرفة الكاملة
والسلام الناقص
مرعوب من السفر الذي بلا نهايةٍ
والإياب الذي بلا يقين
مرعوب من الجنة الخالصة
والجحيم المستعر.
[44]
كانت الدموع
خبزي الوحيد
كان الألم
ثروتي المكتنزة
يدي
زائغتان
ولا تستقران على شيء
في كل يوم أنفجر مثل آلاف الفقاعات ولا أعثر على سلام نفسي
الكامل
وفي كل ليلة أصنع أساطيري الشائهة وأدمرها بيديَّ
هذا الحزن
ثروتي الأكيدة
فراشي

لم يكن سوى محصلةٍ
لساعات الندم
والحسرة.
[45]
بين أشواكٍ أمضي
مقيدٌ أنا حتى النهاية
ومشلول
حتى النخاع
بلا قوة
أو إرادة
بلا مصير
أو حتى حكمة واحدة
بصرى محكومٌ بالعالم
وبصيرتي خاوية
أنا على الأرض مثل حشرة متفحمةٍ
قدماي غارقتان في الوحل
ولا تستقران
إلا على حشيشة الندم الشائكة
صباحاتي رهن الخطأ ذاته
أيامي قبضة من الرميم
هذا الإثم مقدر عليَّ
هذا الألمُ
نصيبي من الفرح.
[46]
حبي
لم يكن حقيقة بل كان حربة تستقرُّ
حياتي خربة مثل مقبرةٍ
وخاوية مثل صحراوات تقهقهُ
أنا هرم مثل حصان يئن

ومنكسر مثل طاحونة بأطلالٍ
تحت وطأة الرغبة أندفع
ولا أقبض إلا على
الضلال والحسرة
أشجاري غامضة مثل كل شمس
وفي كل صباح لا أتعرف أنا عليّ
مياه أنهاري سحيقة وما لها من غورٍ
قلبي بالونة تكاد أن تنفثئ
وصدري مثل ثلجة
في الجحيم
أنا جامد مثل جبل
ومياه أباري جافة آهِ
مراياي
كلها مكسورةٌ.
[47]
في كل يوم لي تجربة
ولكن بلا منٍّ أو سلوى
من بين الأموات أقوم
ورقادي كوابيس مؤجلة
في كل يوم
أحصي عدد هزائمي وخيباتي بلا حد
وانكساراتي مدوية
لا أبصر صباحك الذي تملؤه الشمس
لأستقيم
بل
لأكدِّس مراراتي التي لا تعدُّ.
[48]
هبني سلامك يا رب
فلتضمني عيناك

وليشرق عليّ قلبك الذي يعمل مثل كرّاكاتٍ لا تكلُّ
لتشملني محبتك الرائقة
وليشرق عليَّ سلامك الأكيد
آه
من رحمتك الكاملة وكلامك الشامل
أنا العائش في الخطيئة
حتى النخاع
وأنا القابض على الإثم حتى انجرحتُ
ما من حقيقةٍ واحدةٍ أمام عينيَّ
أنا الزائغ عن كل طريق قويمٍ
المنحرف عن كل
خط كامل وخطأ غير مقصود
ما من حقيقة أمام عيني لألتمس منها مبرر وجودي
يقيني خائخ مثل قشة
وكينونتي مضطربة
أنا زادي إلى نفاذٍ
وزائفة كذلك نفسي الذي بين جنبيَّ.
[49]
ما من مرة تعرفت فيها إليّ
أنا الزائغُ البصر والمعتلُ البصيرة
أنا العائش في الحقيقة التي لا تقبل الشك والغائص في الشك الذي لا
يأوي إلى أية حقيقة
لتضع يدك الرحيمة تحت سنواتي المسيجةِ بالشوكِ والحصرمِ
ولتصنعني على عينك
ولتأخذ بتلابيب روحي
ولتضع يدك الرحيمة تحت مخداتي المحشوة بالخياناتِ والحصى
خلني أمشي في طرقك التي ما بها من ضلالٍ خالصٍ
أو حتى يقينٍ مرتبكٍ
المعرفة عسرة

والجهلُ محيق
وكل الطرق وعرةٌ
والجبل نفسه عالٍ
أنا تلك الحصاة التي تنحدر
وقطرة الماء التي تضمحلُّ
أين بحرك الذي بلا قاع
ولا سمكة واحدة تشخلل أمام عيني
وأين موجتك التي بلا قرار
في أي جهة تقوم شطآنك التي بلا زوالٍ أبداً
وفي أيةِ أصقاعٍ تكمن أراضيك التي لم يطأها بشر
أو تدخلها معرفة
تعبت من السؤال والشكِّ.
[50]
أرضي لم تكن لينةً
ولا بها من ثمرةٍ واحدةٍ
أشجاري جافةٌ
كأعواد ملح
وصحراواتي متشابكةٌ
وفي كل اتجاهٍ
ماذا أفعل؟
أين هو طريق الخير الخالص فأسلكه
وأين هو طريق الشر الكامل
لأبتعد عنه
في كل الطرق أمضي
لا نعمة
ولا أمل.
[51]
ولأن العقل خالدٌ وكلمته آمرة
ولأن الروح مزدهرةٌ وتشرق على الأرض

كانت الكلمةُ.

[52]

الكلمة الفعلُ

والكلمة العقلُ

الكلمة التي – هي – أساس كل فعلٍ وكل عقلٍ

ولأن كل شيء ناقصٌ

وبلا اكتمال

فكل شيء يخرج من الكلمةِ

مثلما يخرج النور من الظلمةِ

وتنبثق الظلمة من الفجرِ

لا شيء يفنى بالكاملِ

ولا شيء يموت

بالضرورة

كل شيء يتحول ويتغير

– إنه التحول الذي يصيب كافة الأشياء –

ولأن العقل خالد وكلمته آمرة

كانت الكلمة

الكلمة الفعل

والكلمة العقل.

[53]

النور والظلمة

الخير والشر

الفعل

واللافعل

المادة والحس

الإدراك

واللاإدراك

أن توجد يعني أن تفعل

أن تقترب من حقيقة الفعل واللافعل

– هو الهدف النهائي للوجود
والحسِّ
من حقيقة الكلمة الواحدةِ
الكلمة الحقّة
والأفعال الجمة –
من يعرف حقيقة الروح
من يدرك عمق الكلمة
من كان هناك ليقول
من رأى منكم ليحدِّث
الكل في العتمة
والظلمة مدوية.
[54]
درت في كل اتجاه
وقرأت كل شيء
الطبيعة وما جاورها
العالم وما فيه
الشهوة
وفقدان البصيرة
– فوجدت أن الكل باطل –
الكل في الواحد
والنور في الظلمة
والظلمة في النور
الكل واحد
لا ينقسم ولا يتجزأ
ولأن الطبيعة عاجزة أحيانًا
ولأن الروح عمياء دائمًا
تهت في الطرق
الذهاب في الإياب
والإياب في الذهاب

كل الطرق متشابكة
و
لا شيء.
[55]
سألت عن كل اسم
وما هي طبيعة كل حرف
فما وجدت أي شيء
فقدت يقين نفسي وامتلأت بالضلال
أنا المنقسم ضد الله
وضد العالم
ليس لي من طريق واحد لأسير فيه
وليس لي
من هدف أكيد
لأعرفه
لا يقين لي لأتشبث به
لا حول
ولا
قوة
كل الطرق متشابهة في عيني نفسي
وطرق الربِّ كثيرة
ووعرة.
[56]
أن أحس بالشيء ونقيضه في نفس اللحظة
أن أكون المرئي واللامرئي في نفس الوقت
الرؤيةُ
والفهمُ
الوضوحُ
والحقيقةُ
الحكمةُ

مجد كل الأشياء
من يمسك بيدي الضريرتينِ
عن العمل؟!!
[57]
كل الأشياء تتحرك واللاكائنُ وحده ثابت.
[58]
أريد أن أستعرض كافة المبادئ
أريد أن أحس كافة الأشياء
أريد أن أختبر كافة اليقينياتِ
كيف أجعل بدنى يفهم وروحي تحس
أنا الثابت
والمتحرك في نفس الوقت
العاجز عن الفعل
والفهم
في نفس اللحظة
لا قدرة لدي لأقعد وأتأمل.
[59]
لا طاقة لدي لأنتسب إلى حقيقة العشب هذه
هذا هو يقين كل شيء
– كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر نفسه ليس بملآن –
جسدي أكبر من روحي
وروحي أكبرُ من العالم
جسدي حدُّ اللغة وحد العالم
آه يا روحي التي لا تنتسب ولا تتسع إلا لجسدي
أريد أن أضطجع
وأنام
أحلم وأتأمل.
[60]
ما هي حقيقة الأمور بالفعل

ما الذي يحدث في الحقيقة
فهمٌ
ولا رؤية
معرفة
ولا أملْ
الجسد في الشكلِ
والشكل في الطاقة
الشكل
والطاقةُ
هما كل شيء.
[61]
الخالدُ
لا يتلقى عن الفاني
والفاني لا يأخذ عن الخالدِ
– كل الأنهار تجرى إلى البحر
والبحر ليس بملآن –
أية حكمة في الموت
أية صيرورة في الأبد
والأزل
نقطة البداية هي
هي نفسها نقطة النهايةِ.
[62]
ولأننا
نريد الخير عاجلاً أو آجلاً
ولأننا لا نتأثر إلا بما هو إلهي وخالد
نسير في الشوارع المطهمة بالألم
نقطف الشر كما نفعل الخير
– ومثلما نقطف نباتات العليق المزدهرة –
نحصد الندم بأظافرنا التي يبكُّ منها الدم

هذا الحسك غذاؤنا اليومي
لا خبزٌ
ولا خمر
الإناء فارغٌ
والماء شكل الإناء
وها نحن نسير في المتاهة
بقدمين
فارهتين.
[63]
فعلنا الشر
لأننا لا نعرف أين هو طريق الخير الخالص
وبحثنا عن الخير الخالص
لأننا سئمنا طرق الشر كلها
الخير
والشر
متكاملان
ما من خيرٍ خالصٍ
ولا من شرٍ
أكيد.
[64]
العقل في الله
وعلى الإنسان
أن يدرك حقيقةَ وجوده
العقل يمتنع عن الألم
والألم يمتنع
عن الحسِّ
والعقل
لا يمكن لقوانا الداخلية أن تنحل
ولا يمكن لعيوننا أن تهدأ

هذا الفساد غير قابلٍ للفهم
الرؤية فوق المعرفة
والمعرفة أبعد من
حقيقة الرؤية.
[65]
كيف أطأ هذا الهواء الذي يتكدَّس
تحت قدمي مثل كومةٍ
أسير ولا حركة
أقوم ولا فعل
من ذا الذي يشاركني الرغبةَ في الفعلِ والفهم؟
من ذا الذي يقاسمني الأمل
في المعرفة
والحسِّ؟
وها هي حدائق الموتى
تعلو!!
[66]
أنا النملة الواثقة التي تبرر الزمن ولا تسأل
أنا الليل ذو النجوم الدفاقة في الأفق بقبعاتها الصفراء
لا أعرف ما هو اليقين حقـًا
ولم أعد أبحث عنه
أجفف أنهاري بشفتي المندلقتين كالملح
وأفرك الزمن بين يدي
كالعصارة
وأقهقه مثل الرماد
المنبتِّ
لا حس ولا حركة
لا رغبة
ولا سلام
فقد اليقين ذاته

وانتصبت أوائل الشهوةِ
انظر...!!
ماذا يفعل كل أولئك الموتى؟!
[67]
سرت في كل اتجاهٍ وما رجعت
دخلت في مغاليق الجبال وما خرجت أو دخلت
حصدت كل ضوء شارد أو واردٍ
وما أبصرت
صعدت إلى معاصم الأفق
وما رأيت
لا شيء يكون..
كل ما هو كائن سوف يكون
كأن الأقلام رفعت
وكأن الصحف
نشرت.
[68]
هأنذا أتمدد فوق حصيرة المخيلة إلى ما لا نهاية
أنا الوهم المختلط بالحقيقة
والحقيقة المختلطة بالوهم
أتحرك
ولا أحس بالحركة
أشعر ولا أدرك سوى السأم
لا أبلغ الموت
ولا أقترب من حقيقة الحياة
أبصر في اليقظة ما أراه ماثلاً في النوم
لا شيء يبقى على ما هو عليه
الموت يقابل الحياة
العدم سيد الحقيقة بلا منازعٍ
الوجود – نفسه – وهم

والعالم مجرد خيال
ما من شيء يستمر إلى ما لا نهاية
كينونتي تتلاشى
وبدني يضمحلُ
وها هي الروح تغزو.
[69]
ماذا أفعل بكل هذا العدم الذي يتكدَّس
ماذا أفعل بكل هذا الفراغ الذي يمتلئ
حدة الضوء تخبو
أصفِّر في الخلاء الضخم لأطرد كافة الكوابيس – عن نفسي – التي تقشعرُّ
أقعد على الأرصفة المعادية
لألهو بغيمة تعدو
كيف ألملم كل هذه السماوات الشاهقة – في جيبي – وأتأمل النسيان مثل حشرةٍ؟
آه
يا ثمرة اليأس المعطوبة
غداً..
سوف تأتي الظلمة المعادية لتبتلعني..
وأنا أقهقه قهقهة الرماد المنقعر.
[70]
أتمدد على الأرصفة فارداً ذراعيَّ
– وهأنذا استنشق هواء الوحدةِ السامَّة –
هذه الوحدة جننتني
تتمدد بجانبي
وتنام تحت رئتي مثل ذئبةٍ
هذه الوحدة
المجنونةُ العالمةُ المتأملةُ الهاديةُ النبيلةُ الجبانةُ الخربةُ الهشةُ الرثةُ الضعيفةُ الهالكةُ
المتهالكةُ
العاريةُ
الغاويةُ الهرمةُ

الرنانةُ الطنانةُ
ما هو الزمن
والوحدة طائر أخرس؟!
[71]
ما هي الحقيقةُ
لا فهمٌ
ولا معرفة
لا أمل
ولا يأس
الفهم والحقيقةُ والمعرفة لا شيء
ومثل بحار أعمى
أتعلق بقصبة
غارقة.
[72]
قرأت كافة الفلاسفة ولم أعثر على حكمةٍ واحدةٍ
الفلسفة متناقضة بالأساس
والحكمة غائبة عن الكل
باطل الأباطيل
الكل باطل
وقبض الريح
ها هي أحجار السماوات تتساقط عليّ ولا قدرة لدي على رفع الأنقاضِ
دائمًا
عرتني الظلمةُ
المدويةُ
وها هي عنكبوتاتٌ ضخمة بحجم السماوات والأرض تلتف حول رئتيَّ
وتتصيد لي أخطائي
لم أعد أسمع سوى صلصلة روحي التي تتفتت
ثمة كوابيس غاشية تنتزعني من ظلمتي الرحيمة هذه
وها هو فجر مبلل بالخديعة يتربص بي

من يقيني من الهاوية التي تتجسدُ؟

[73]

أستمر في مداعبة البياض والسواد رغم كل شيء
وأتناثر في الأنحاء
ولا أمسك ولو بغيمةٍ ضالةٍ
فوق سريري
يتقاتل الألم
والوحدة
لا قمر لديّ – سوى النسيان – ليتسلل
عبر الظلمة المدوخة
لا قدرة لديّ على الفهم
ولا زمن لي بالأساس
ليس – لي – غير فمي الذي يقبض على كل ما هو باطلٍ وشر
لا أملك غير يدى الكليلتين اللتين تندسان في الظلمة
ولا تقبضان إلا
على نشارة الندم
والخسارات
أنا وحيد وربما
أشعر بالأسى لهذا الكون..!!

[74]

في كل يوم
أسير محدقًا في اللاشيء
وها هي ذي أشجار العدم تصطفّ على الحواف
ومن كل ناحية تتربص
أنا هو الفعل واللافعل
آه
يا يقين الأعمى؟!
ما معنى الحب أو الموت ؟
ما معنى الوجود والعدم ولماذا حدث ما حدث بالفعل

البداية مثل النهاية
الصعود هو مقدمة الهبوط دائمـًا
كل هبوط هو بداية لصعود آخر
– ومثلما لكل شيء بداية
فلكل شيء نهاية كذلك –
إنها نفس الدائرة التي تتكرر وتتكدَّس ودائمـًا
دائمـًا عبر الزمن.
[75]
السهروردي مثل المسيح
نيتشه مثل بوذا
الحلاجُ يلتقي ببلاطس
الكلمة واحدة
والأفعال شتى!!
وطرق الرب كثيرةٌ ووعرةٌ
لا أحد يصرخ
ولا أحد يعرف ليتكلمَ.
[76]
في ذاكرتي تتكدس كافة المدن إلى ما لا نهاية
أرتكب حماقات لا حصر لها وأخرج من شارعٍ لشارعٍ ولا ألوي على شيء
أسأل نفس الأسئلةً
وأتلقى نفس إجابات الروح المعطوبةِ
غيوم الروح كثيرة ولا أحد يسمع
مشكاواتي صدئة
وقطارات الروح
معطلة عن العمل
في كل يوم لي تجربةٌ ولكن بلا من أو سلوى
لم فعلت ما فعلت يا إلهي.
[77]
إيلي

إيلي
لم شققتني؟!
أما من حلّ لهذه المعضلةِ
أي معنى لهذا العالم الذي يتكور ويتكدس إلى ما لا نهاية
أية حقيقة تكمن في مطاردة الليل للنهار
ومطاردة النهار لليل؟
ماذا يعني العجز الكامل للروح
وماذا تعني الشيخوخة الكاملة لهذا البدن؟
ماذا عن تعب يدي
وما هو عملُ كل هذا النهار؟
[78]
ما معنى كل هذه الحروب التي بلا طائلٍ
ما هي غاية التاريخ
وما هدف كل هذه المذابح المدوية؟
أأنت فعلت الشر؟
هل قدَّرت الإثم الخالص للروح
ومثلما فعلت الخير المحض
قدرت الشر المحض؟
[79]
هذه السنوات تمضي بلا هدف أكيد
أين يكمن اليقين وما هي مادته
ما عادت الروح تبصر
القدم عمياء!!
والقلب فارغٌ والروح معاديةٌ
كيف أبدد الظلمة الشاهقة حول روحي التي تكتظ.
[80]
أنا بئر العطش الممتلئ باللامعنى
أنا صَدَفَةٌ عاثرة الحظ
وممتلئ بالتفاهة حتى النخاع

أنا الغيبوبةُ الكاملةُ للجسد في ديمومة الروح الهاربة وغيبوبة الروح
الكاملة في أزلية الجسد المتوحش
أحدق في الهاوية فلا يتردد إلا صدى القاع
أنفِّض التراب عن جسدي
فلا أشم سوى رائحة الموتى
فليشرق السلام على نفسي
ولتحل البركة
على حجارة روحي المتآكلةِ
أنا شجرة المتاهة التامة التي تدوم وتدوي إلى ما لا نهاية
أسند الظلام إلى ظهري
وأبدأ صفيري الحادَّ في الخلاء الضخم
ولا أحد معي
في جعبتي يسكن طائرُ النسيان
ولا مجد لي
على شفتي يسيل كرسي العدم المتحرك
ولا أحد يدرك.

[81]

أنا الأسئلة التي تبحث عن إجابات الروح الهرمة
كيف أعبر عن ظمأ روحي؟
كيف أكتب عن يقين نفسي التي تنحلُّ؟
أنا شجرة – النسيان – الغارقة في العزلة
وأنا يقين الأرصفة الأعمى؟

[82]

أين أنت يا أبي؟
لم فعلت بي ما فعلت؟
أنا الضالُ الذي فقدت
أنا الحكمةُ الطائشة التي قدرت
أنا الشجرةُ الجافة
التي أحرقت

أو أهلكت
أنا...
نهرك الوحيدُ الذي ما عبرت
أنا ثمرتك الحامضة التي تقيأت
لم فعلت بي ما فعلت
أنا صحراواتك الواسعةُ من الملحِ الشاسعِ التي ما تخيلت
فلم فعلت بي ما فعلت؟
[83]
أنا العابر الأبديُّ في الفراغ الغويط
أنا الغارق في الوهم والتفاهة
والقابض على الضلال الكاملِ
والعدم الراسخ حتى النهايات ولا خلاصَ لي
أنا الممسك بيدين
ضالتين
على جمرةِ اليأس هذه
أنا عابر السبيل الأبدي والعائد من الجحيم دائمًا ومعي أغنياتي التي
تشبه البرازَ
أنا السائل المنوي الذي يتخمر في الأنابيب البلاستيكية وأكياس النايلون
وثلاجات الدوائر الحكومية في نفس الوقت
ما هو متاعي الحقيقي من هذه المهزلة
آه
من طول الرحلة
وقلة الزاد!!
[84]
كيف حدث ما حدث
لم أعد أذكر
كانت ظلمة
وكان الربُّ واقفًا وكنت هناك على وجه الغمر مثل قشةٍ
أحفظ أسماء كل شيء

قرأت كل اسم
وحفظت كل حرف
دونت أسماء كل نهر
وعرفت معنى
كل لون
الأنهارُ والبحارُ الأشجارُ والأمطارُ الجبالُ والمحيطاتُ
– كنت قريبـًا للرب وكان الرب – نفسه – قريبـًا منى
أحصيت كافة النجوم
وتسللت إلى كافة المواقع
في أزمنة الروح تجولت وانحللت
لا معنى للماضي
ولا يقين للحاضر
الزمنُ نفسه وحده
الزمن لا شيء
والحركةُ كل شيء.
[85]
متى تستقر هذه الروح الخربةُ التي تعمل بداخلي ومثل حشرة بسكاكين
كيف أقبض على فراغي الذي ينهمرُ
ويأسي الذي ينمو؟
لماذا يحدق الموت دائمـًا في وجهي
ويتشمم رئتي
ويتحسس جبهتي
ويتلصص عليَّ كالذبيحة
وينام تحت أرنبة أنفي
– محركـًا ذيوله الخشبية أمام عينيَّ –
أيتها الروح التي تصرخ كالدببة
أيتها السماوات التي تنوء كالضحايا!!
لمَ يتصاعد الدخان عاليـًا
وتعلو ألسنة اللهب حتى القبَّةِ؟!

[86]

سأجتر مراراتي الليلية
وأعد خيباتي التي لا تحصى
أنا شجرة النعاس الفضفاض
وحديقة الموتى
المسننةُ
أنا كرة الروح العمياء
وهواء الندم المبهور بالعدم
أنا نشاز الزمن الذي يكنس كل شيء وأي شيء
أنزل ضيفـًا على الجحيم دائمـًا
وأتشبث بأحجار الروح
المسيجة بالأساطير
واللامعنى.

[87]

اصنعوا لي صنجـًا من الريح لأغنى
اجلبوا لي
بخوراً من الأصقاع البعيدة لأضرب على طبلة الأفق بأصابعي
بأبواقي الكثيرة سأسمعكم خراب نفسي
ها هي الأشجار تتنصت
وقصبة الريح تعوي
أريد أن أسمع أناشيد الليل الدفاقة
ومثل حصاة ناتئة فوق جبل
أقف لأتفرج على خساراتي التي لا تتهدد
وتحت سماوات بمخالب
أدلدل رجليَّ
– في الفراغ الغويط –
ولا أحد يرى أو يسمع
أدق طبولي أناء الليل وأطراف النهار
ولا أحد يبصر

من كان له عين فليأت
من كانت له أذن فليسمع وهذا هو
ختامُ الأمر كله.
[88]
لنتحد بالسماء والأرض
بنعمة الضوء التي لا تقهر
بحقيقةِ
وجودنا على الأرض
- في العالم -
لنتحد
بكل ما له من معنى
بالشجر والجبال
الحصى والرمل
بالظمأ وقطرة الماء
بالنعمة
وبؤس الأمل
لنتحد..
بسنواتنا الضالة
وأنهارنا الجامدة
وأنتِ
يا بذرة الليل الشفافة و يا شمس الربيع النديان
كلماتنا التي نطلقها عبر الرغبة الخالصة والحنين الغامض
تتوقف عبر محطات الألم الخالص
لتصبغ الليل بالألفة
ولتصنع النهار بالحكمة
والمعرفة الحسنة
ربما يعني الميلاد موت شيء آخر
ربما يعني الموت ميلاد حياة جديدة
ما هدف هذا النور؟

ما غاية تلك الظلمة؟
لنتحد بكل ما له من معنى
لنتحد بالأمل واليأس
لنتحد بالحقيقة والموت
بالليل
والنهار
وأنت – أيتها السيدة – يا صانعة الرغبات الحارة والأنهار اللامنهزمة
أنت النعمة الخالصة
واليقين الأكمل
– حتى أطراف أصابعك كلها شهوات –
[89]
بحثًا عن الرغبة الأكيدة
بحثًا عن الأمل المنبعث
بحثًا عن السلام المر
بحثًا عن النور الخالد
والظلمة الغاوية
بطرق الروح المتجددة
على صناجة المادة الخشنة
إلى أي مكان سوف نمضي
إلى أين تأخذينا يا سفينة الريح
أتوجس من كافة الينابيع
وأخاف من نجمة الصبح
التي لا تطلع.
[90]
لا علم لي
ولا أعرف ما هي الحياة الحقة ولا ما هو شكل العالم
ما هي الخفة الكاملة لهذا الكائن الذي لا يحتمل...
وأين يكمن الشر المطلق؟
ما هي غاية الخير المحض؟

وما هو هدف الشر الأخير؟
ليس ثمة شيء
أمور كثيرة سوف تحدث
حقائق كثيرة سوف تتغير
المعرفة عسرة
وطرق الرب كثيرة ووعرة
والفهم
أبعد منالاً من العقل.
[91]
كل الطرق متشابهة
اليد التي تغرس الحكمة تعرف – أيضـًا – كيف تحصد الألم
البداية هنا
قد تعني النهاية هناك
والنهاية هنا قد تعني البداية في مكان آخر
ما هو اليقين حقـًا؟!
وما هي المعرفة بالفعل؟
ما هي حقيقة العقل؟
وماذا تعني الفضيلة
أو العفة؟
ماذا تعني الرحمة وما هي غاية التقوى؟
أين طرق البر الكامل
وما هو السلام الأكيد؟
ماذا يعني الخير أو الشر في المحصلة النهائية
– المسألة أكثر غموضـًا مما ينبغي –
لا فهم ولا معرفة
الصدفة قانون كل شيء.
[92]
ترى أين ذهب كل هؤلاء
المسيح وبيلاطس

بوذا
وزرادشت
ليس للإرادة مكان
والوعي بلا حقيقة سابقة
الأحجار كلها تتساند
والشوارع تهرب من النافذة
حركة ولا سير
لا هدف ولا أمل
فقدت الأشياء حكمتها
تعلو
وتهبط الرئة
مثل الإسفنج
الهواء حامض
مثل ذكرى.
[93]
أيتها البنايات الشاهقة مثل سدّادت تمنع الهواء والضوء
يا حوائط الإسمنت والرصاص المتكاثفة – مثل علقة –
هل حقـًا
سوف يأتي الطوفان؟
أية سفينة يمكن لها أن تحمل هذا العالم بين رئتيها الجهنميتين؟
أي فُلك يمكن أن تعبر هذه البحار المتراصة مثل أخطبوطات ضخمة
وبأنياب؟!
لماذا فقدت عيني القدرة على الرؤية
لماذا فقدت أذني القدرة على السمع
والكلام؟
لماذا فقدت يدي القدرة على الفعل
واللافعل؟
تخففي أيتها الغاشية..!!

[94]

حياتي بلا رغبة خالصة
أنا العاطل عن اليقين والشك
أنا الخالي من الرؤية والإرادة
أنا الموصوم دائمـًا
بالهشاشات
والخيبة
إلي أين تأخذينا يا سفينة الموتى؟!
ترى
أين ذهبت كل هذه السنوات
كيف أبدد كل هذا الحصى عن يدي
حجر أنا....
وحياتي مبددة ومثل فقمة بألف عين أنظر إلى الحياة بازدراءات
وتعزية
في فمي هواء حامض
وقطط مجففة
وبضراوة ينبجس الألم من تحت قدمي
أنا الأعزل.

[95]

أستبسل في الفراغ الغويط وأدخن سجائري المحشوة بسرطانات منقرضة
أتدحرج على الطرقات مثل بالونة منبعجة بألف فم
وأتأبط أيامى – الخربة – مثل كومة من الوساخات والأتربة
خرائبي أكبر مني
ويأسي أكبر من خراب نفسي
كيف أصعد إلى هذه السماوات الشاهقة
لأقعد أنا والقمر كصديقين يتيمين
وفوق حشية السحب هذه
أتأمل الفضاء
بعين منجرحة.

[96]

دونما هدف
أو دونما أمل كذلك
دونما خداع للذات
ودونما شهوات
دونما حاجة إلى العقل
أو رجاحة الجسد
دونما حقيقة واحدة
أو حتى أمل زائف
الظلام بحار أعمى
والنهار
شيخوخة مبكرة.

[97]

الزمن يأتي ويعود
الظل يسقط في الظل
والماء يسقط في الماء
من ذا الذي يقدر أن يقول كل شيء
من ذا الذي يقدر على الفعل واللافعل
إلى النسيان سوف نذهب
بلا طمأنينة واحدة للروح
بلا معرفة حقة أو
رحمة واحدة كذلك
كأنما الروح ضلت.

[98]

ما ينتهي سوف يبدأ
وما يبدأ سوف ينتهي
في العالم
يسقط الكل في الزمن
وفي الزمن

يسقط الكل في الظلمة
الحكمة والمعرفة
اليقين وتبدد اليقين
الأمل
واليأس
من الموت إلى الميلاد
ومن الميلاد إلى الموت
كل شيء يتكرر إلى ما لا نهاية.
[99]
الموت يتهدد
ليس هناك من رغبة واحدة
الضوء جاف
والنهار بحار أعمى
لا رفة لورقة
ولا حركة لغصن
لا حياة يمكن لها أن تتبدل
ولا شمس تنبعث من الرماد
ثمة يقين غامض يأتي من الأرض
والعالم كله
يدور.
[100]
الزمن حركة
– من الخلف إلي الأمام
ومن الأمام إلى الخلف –
الحاضر قد يعني الماضي
والماضي ليس إلا صورة الحاضر
وفي الزمن
يسقط الكل
إلى أين نتقدم

واأسفاه
مضى أغلب الوقت
ليس للإنسان وعي
وليس للبشر
إرادة
ضلت الحكمة طريقها
وفقد الخلاص ذاته.

الورقة الأخيرة
أو اليد الرطبة للأحجار

دفناه
ولم يكن في الطريق الصاعد إلي المقبرة إلا شجرة لبخٍ وحيدةٍ ظلت تراقب الموقف عن كثب.
وحينما أخذ الرجال الجوف يستخدمون معاولهم وجرَّافاتهم في إزاحة التراب عن المقبرة وذلك في محاولة يائسة ليكشفوا عن بواباتها الجانبية لم يكن هناك سوى بعض الجماجم التي راحت تحدق من فوهة المقبرة
سرت رعشة في المفاصل
واندفع سرب من الديدان النهمة الذي خرج يتشمس لبرهة من فرط العتمة ويتطلع بدهشة وحذق إلى وجوه المعزين
أخلت دودة – متجاسرة – الطريق لأقدامنا التي أخذت تتململ بعصبية
وصعدت الطريق فوق طوبة رطبة لقبر متآكل وذلك خشية أن يدوسها أحد لقد انتهت حياة كاملة من الحب والكراهية ومن الأمل واليأس
فقط...
زوجته التي احتشدت بكيسين كاملين من الدموع ومجموعة من النسوة اللابسات الحداد لزوم المجاملة
لقد ظلت تعول لنصف ساعة تقريباً ودون أن يعبأ بها أحد
وبعد أن ابتعدنا عن المقبرة خطوات كان – المرحوم – يتساند على نفسه ليتحسس الظلمة والفراغ

لم يكن يعرف أن الطريق الصاعد إلى المقبرة لا يوجد به سوى شجرةِ لبخ وحيدةٍ
وسنواتٍ كاملة من المضاداتِ الحيويةِ والمشارطِ وأوامرِ الأطباءِ
وأكياسِ الدمِ
وأخيراً بدأت الديدانَ تعمل!!

عودة الابن الضال

إلى عبد الحكيم قاسم
ومحمد زفزاف

على هذه الطاولة بالذات وفي هذا المقهى كذلك
كان أصدقائي المنسيون يتسللون الواحد بعد الآخر.
أجلستهم إلى جوار
وفرشت لهم الموائد
وطلبت لهم شايًا بالنعناع والسكر
وفي الليل
كانوا ينسلون الواحد بعد الآخر وفي أيديهم ضحكاتهم التي تشبه حب
الثآليل وعلى سراويلهم بعض الدموع
وبلا مبرر واحد
ظلوا يتشاجرون لساعات إلى أن أفهمتهم أنهم موتى
وأن الحياة مثل كرة من البلياردو تسقط في شبكة جانبية في نهاية المطاف
لم لا تجلسون مثلما أجلس
وهنا وعلى هذه الطاولة بالذات
وفي هذا المقهى كذلك
سوف تأتي الشمس كعاداتها كل يوم كحل نهائي لوجع المفاصل
وآلام الظهر
ونستطيع أن نمدد أرجلنا في الفراغ الغويط إلى أن نتقاعد مثل جنرالات
لجيش مهزوم
وسوف نتحايل على الشيخوخة المبكرة

بأن نطلق بعض النكات الساخرة والضحكات
التي تتسع لحياة كاملة من الألم
ولا نعود نتذكر الموت مثل شيخ ضرير
بقبعات حمراء.